

الاتجاهات العلمية:

مرت المجتمعات العربية بفترة ركود حضاري وفكري خلال الفترة الحديثة، في الوقت الذي كانت أوروبا قد سارت أشواطاً في الإنجازات العلمية فاكتشفوا البخار والكهرباء والمواد الكيميائية، وصنعوا التلفون والتلغراف والقطار، واكتشفوا كريات الدم والمضادات الحيوية وتطور الطب والجراحة. واهتموا بالهندسة والفيزياء والفلك ومختلف العلوم. وعرف القرن التاسع عشر بقرن الثورة الصناعية في جميع المجالات.

لقد اندهش العرب الذين اتصلوا بأوروبا من هذا التطور، وإن كانت بداية نهضتهم هو الاعتناء باللغة العربية وإحياء التراث إلا أن بداية الاهتمام بالعلوم كان بتأثير حملة نابليون على مصر والبعثات العلمية التي أرسلها محمد علي باشا إلى أوروبا.

لقد أنشأ نابليون "الجمعية العلمية المصرية" في 1798 ضمت العلماء الذين رافقوه وأصدروا كتاب "وصف مصر" وهو عبارة عن كتاب من عدة مجلدات تضمنت آثار مصر في المعارف والفنون والصنائع والزراعة والهندسة والآداب والتاريخ والسياسة وغيرها. وفي الوقت الذي كان المسلمون يعتمدون على الطب التقليدي والتعويذات للعلاج كانت أوروبا قد اتبعت الحجر الصحي واخترت الأدوية، فأصدروا في مصر أثناء حملة نابليون كتابين طبيين الأول "وصف الرمد وعلاجه" والثاني "إعلان عن الجدري".

كما ساهمت المدارس والكليات العلمية في مصر بلاد الشام في النهضة العلمية، فقد أوفد أنشأ محمد علي الطلبة لتكوينهم في فرنسا وإيطاليا وأنشأ مدرسة الطب ومدرسة للصيدلة وأخرى لتخريج القابلات، واشتهر عدة أطباء في عهد محمد علي باشا منهم محمد علي البقلي الذي درس بفرنسا وعند عودته درس في مدرس الطب وله عدة مؤلفات وأيضا إبراهيم الدسوقي وأحمد حسن الرشيدي وغيرهم من الأطباء الذين كانت لهم مؤلفات حول الأمراض التي كانت تنتشر في مصر.

كما شهدت الهندسة والرياضيات والفلاحة وعلم النبات والمعادن اهتماما من علماء العرب في تلك الفترة وبخاصة في مصر بتشجيع من محمد علي باشا. الذي أنشأ أول مدرسة عليا للهندسة في سنة 1816، ومن أشهر المهندسين محمد البيومي الذي ألف عدة كتب منها "جر الأثقال" "الجبر والمقابلة"، وفي علم النبات ألف أحمد ندا "الآيات البيئات في علم النبات".

كما نشأت الجمعيات العلمية التي تهتم بالتاريخ والآثار والنباتات والحيوان والجيولوجية والطب، فنشأت "الجمعية الجغرافية الخديوية" بمصر. أما بقية البلاد العربية فقد كان معظمها تابعاً للدولة العثمانية أو تحت الاستعمار، لذلك تخلف عن مصر، في إنشاء الجمعيات والمدارس والمهاهد والكليات التي تدرس العلوم العصرية. فقد أنشئت كلية الطب بدمشق في سنة 1901 وكانت على شاكلة كلية الطب بالآستانة، وسبقها المسيحيون بدمشق بإنشاء كلية الطب والصيدلة التابعة للكلية السورية الأنجيلية. كما أنشأوا كلية الطب والصيدلة ببيروت في سنة 1883. وأنشأ الأطباء العرب الجمعيات الطبية مقلدين ما شاهدوه في أوروبا

لقد نشطت الترجمة في القرن التاسع عشر فترجمت الكثير من المؤلفات إلى اللغة العربية، كما أنشأوا مجلات تعني بالعلوم وأقدمها وأشهرها "المقتطف" التي صدرت في سنة 1876 ببيروت. كانت مهتمة بالنباتات والهندسة والطب والأمراض. وبلغت عدد المجلات والصحف العلمية التي كانت تصدر بمصر عام 1910 إحدى وثلاثين صحيفة ومجلة.

كان للتقدم العلمي الأوروبي تأثير كبير على المفكرين العرب، حيث اعتقدوا أن من أسباب تفوق أوروبا هو اعتمادها العلوم وبخاصة التطبيقية منها. وكان من هؤلاء الطهطاوي وخير الدين التونسي. ورأى الأفغاني ومحمد عبده إلى التوفيق بين العلوم الحديثة والما جاء في الدين الإسلامي. وقد ظهر في نهاية القرن التاسع عشر تياران فكريان الأول هو علماء الأزهر والعلماء التقليديون وهم الذين رفضوا العلوم الحديثة ورأوا أنها تعارض الدين. ورأوا الاكتفاء بالعلوم الشرعية. أما التيار الثاني وهو الذي رأى التوفيق بين العلوم للشرعية والعلوم الحديثة ومنهم محمد عبده ورشيد رضا وقاسم أمين وغيرهم.

وهناك تيار آخر وهو التيار التيار العلماني العقلاني ظهر هذا الاتجاه عند المفكرين الذين اتصلوا بالغرب وعابنوا معطياته الحضارية، وسعوا إلى احتذاء النموذج الغربي، وتبلور لدى الفئات المسيحية للبنانية والسورية، وترتكز أهم مبادئهم فيما يلي:

- إنشاء مجتمع لائكي علماني يفصل الدين عن الدولة، ويقوم على أساس المبادئ الليبرالية، ويشعر من مصادر غير الإسلام والدين.
- تغيير أخلاقيات المجتمع وجعلها تعتمد على أساس علمي وعقلي.
- تربية أفراد المجتمع على أساس عصري ومناهض للأسلوب الكتابي والأزهري في التعليم.

القيام بعملية نقل واسعة للثقافة الغربية.⁽¹⁾ بدأت أفكارهم تظهر في سبعينات القرن التاسع عشر في الصحف، فكانت هناك صحف تعبر عن آراء سياسية وصحفا أخرى لها أغراضا مزدوجة، وهو إطلاع الفكر العربي على أفكار أوروبا وأمريكا واختراعاتها. والعدد الأكبر من هذه الجرائد صادرة في بيروت أو القاهرة يحررها مسيحيون لبنانيون تثقفوا في المدارس الفرنسية أو الأمريكية. ومن المجلات التي كانت واسعة الانتشار مجلة "الجنان" أصدرها بطرس البستاني، وكتب معظم مقالاتها ابنه سليم. ومن المجلات أيضا "المقتطف" التي أنشئت في سنة 1876 أنشأها معلمان شابان هما يعقوب صروف وفارس نمر، أما مجلة "الهلال" فقد أنشأها جرجي زيدان (ت1914). كانت المجلتان الأخيرتان تتحشيان كل ما يتعلق مباشرة بالسياسة المحلية أو الدين، ولكن يبينون من مقالاتها ان العلم هو أساس المدنية، وأن العلوم الأوروبية لها قيمة عالية وبإمكان العقل العربي تحصيلها باللغة العربية..

كانت بعض أفكار الكتاب العرب هي الأفكار الأوروبية المنتشرة، وأول من أدخل نظرية داروين هو شبلي الشميل (1850-1917) وهو مسيحي سوري وطبيب من المتخرجين الأوائل من المعهد الطبي التابع للكلية البروتستانتية السورية، ثم تابع دراسة الطب في باريس قبل أن يستقر بمصر، حيث مارس مهنته وكتب في المقتطف ومجلات أخرى، اهتم بالشؤون العامة، ولخص في كتيب صغير أرسله إلى السلطان عبد الحميد الثاني بعنوان "شكوى وأمل" نظرتة إلى ما كانت تفتقر إليه السلطنة العثمانية من علم وعدل وحرية، كان الشميل يعتقد أن أعظم الأمور شأنًا بل أساسها جميعا إنما العلم، وكان العلم يعني عنده النظام الميتافيزيقي الذي بناه هكسلي وسبنسر في إنكلترا وهاكل وبوخنر في ألمانيا على نظريات داروين.

كما تأثر العرب بأفكار أوغست كونت وغوستاف لوبون وأرنست رينان من بين فلاسفة القرن التاسع عشر، ويحتمل أن أفكارهم لم تنقل مباشرة وإنما من خلال مصادر ثانوية، وقد أثار رينان اهتماما بارزا في الفكر الفرنسي بنظرياته عن الإسلام والمسيحية التي وجدها كثير من المسيحيين معقولة جدا، وقدم فرح أنطون عرضا منهجيا لأفكار رينان، وهو من أقرب المتأثرين به.

ومن العرب المتأثرين بالغرب فرح أنطون (1874-1922) نزح من طرابلس إلى القاهرة في 1897 وصرف بقية حياته في مصر ونيويورك رئيس تحرير عدة مجلات عربية وبخاصة مجلة

(1) أحمد أبا عوض والفارابي، مرجع سابق، ص.ص. 29-30

الجامعة، وعبر عن فكره المتأثر بالفكر الأوروبي "المتقدم" واصطدم بالشيخ محمد عبده، مما أدى بالأخير أن يكتب دراسة عن "الإسلام والمسيحية". تأثر أنطون برينان الفيلسوف الفرنسي، فهو

يفصل بين الدين والعقل ويجعل لكل منهما مجاله، كتب عن ابن رشد. وكان يرى أنطون أنه يجب الفصل بين السلطة الزمنية والسلطة الروحية، وهو أساس العلمانية.

كما تأثر المسيحيون العرب في نهاية القرن التاسع عشر بالأفكار الاشتراكية وخاصة جورج زيدان وأنطون صروف، وكان الشيمل وصروف يريان أن المسألة الاجتماعية والسياسية الخلاص الوحيد للإنسانية هو في الاشتراكية. وأعلنوا تأييدهم الكامل لنظام سياسي مستند إلى الديمقراطية والحكومة الدستورية. ورأوا أن الاقتصاد الحر والنظام البرلماني مبدآن أساسيان للتقدم.

واجه العالم الإسلامي مشكلة الاقتباس من الغرب، مدفوعا بحركة النهضة للأخذ بكل ما هو جديد، في حين تجذبه إلى الوراثة تقاليد بالية، لقد عجز المجتمع المسلم على تكييف الحضارة الغربية بما يتناسب وتاريخه وطبيعة مجتمعه، فانهمك في الاقتباس السطحي الذي عاد عليه بالسلبية. "فالمجتمع الناشئ لايمكنه تمثل العناصر الاجتماعية الجديدة التي يقتبسها إلا بشروط معينة، فإما بحاجة ملحة وإما بأمر علوي"⁽²⁾.

جامعة محمد بوضياف - المسيلة

Université Mohamed Boudiaf - M'sila

(2) مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ص.72-73

